المنحى العقلي والفلسفي عند علماء البصرة- الجاحظ أنموذجاً

م.م. محمد كريم محمد الجميلي

كلية التربية/ طارمية- قسم التاريخ

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد...

فان الأمم الحيّة تفتخر بماضيها وتأريخها، وإنّ من مظاهر الحياة في الأمة أن تثير الهمّة نحو تأريخها، وتجدد الصفحات المشرقة فيه، وتذكر الأعلام الذين كان لهم شأن في الحياة، وتأثير في المجتمع، وإذكاء للفكر، وتنوير للعقل، وأيادٍ بيضاء في العلم، لتعترف بفضلهم ومآثرهم، وتوجه الأجيال للتأسي بهم، ليكونوا خير خلف لخير سلف، وليعرف الجيل الحاضر جهاد الأجداد، ومنهج حياتهم الذي وصلوا به الى أطراف المعمورة، وخلّدوا بصماتهم في مختلف البلدان، وحملوا مشعل الحضارة الإنسانية عدة قرون، وشاركوا في التراث الإنساني في جميع العلوم. وإنّ دراسة تاريخ الأمم والرجال تعين على كشف الحقائق، ونسبة الآراء الى أصحابها، وإعادة الفضل الى ذويه، ومعرفة المبدع من الحاكي، والمخترع من المقلّد، وهو ما يوجبه الخلق الكريم والعقل السليم.

وقد امتازت الأمة العربية الإسلامية بحفظ تاريخها، وترجمة أعلامها، وظهرت في الثقافة العربية الإسلامية، والتراث الخالد، كتب التراجم والأعلام في مختلف العلوم والفنون، وعلى مرّ العصور والأيام، لتخليد أشهر الرجال ذكراً، لأن الحاضر امتداد للماضي، والمستقبل يعتمد على الحاضر، والبشرية تسير في حلقات متتابعة من القديم الى الحديث والكلّ يشارك في البناء الحضاري ليتم الصرح الإنساني الشامخ.

وكان على رأس هؤلاء العلماء، علماء البصرة بصورة عامة والجاحظ بصورة خاصة الذي بحث وكتب في العلوم العقلية والفلسفية، رغم انه لم يكن أول من اهتم بتلك العلوم خاصة الطبيعية، فقد وجدت بذور هذه الفلسفة عند اليونان، وعرض لها الكثيرون من معاصري الجاحظ أمثال أبي الهذيل العلاّف والنظّام وثمامة بن أشرس وبشر بن المعتمر وغيرهم. بيد أن الجاحظ بلغ بها غاية أبعد حين اتخذ الطبيعة غاية وليس وسيلة فجعلها موضوعاً للدرس والتأمّل في محاولة لسبر أغوارها واكتشاف قوانينها.

لقد اهتم الجاحظ بدراسة العلوم الطبيعية من مختلف ظواهرها من جماد ونبات وحيوان وإنسان ويبدوا ذلك واضحاً في مؤلفاته المتنوعة. بيد أن دراسة الطبيعة وحدها لا تكفي لإضفاء صفة الفيلسوف الطبيعي على الرجل، فلا بد من وجود نزعة فكرية عنده تقوم على تفسير الظواهر المختلفة بالاستناد الى الطبيعة وهذا ما نراه واضحاً في تفكير

الجاحظ، انه ينظر الى الأمور نظرة واقعية علمية مؤمناً بوجود قوانين تسير بموجبها وتفسيرها.

لذلك لم يعن الجاحظ بما يجري في الطبيعة فقط وإنما عني أيضاً بالتفتيش عن علّة أولى واحدة للكون في كليته وهو بهذا يختلف عن فريق من الفلاسفة الطبيعيين أطلق عليهم أسم الدهريين، كما خالف فلاسفة آخرين أبرزهم الرازي في تفكيره، وكما قال أحد المستشرقين ان الجاحظ كان عالماً بالطبيعة والإنسان ولكنه لم يكن يقصد في كتبه وضع قواعد هذين العلمين، انما كان همّه إثارة اهتمام القارئ بهما وذلك بتحبيبهما اليه.

صحيح انه لم يضع كتاباً يتناول العلم الطبيعي وقواعده ولكنه طبقها الى حد ما في مؤلفاته وأوضح معالمهما ثم انه لم يكن همّه إثارة اهتمام القارئ بهذا العلم فقط بل كان ينبغي شانه في ذلك شان كل عالم أو مفكر أن يقدم للإنسانية آراءه ونتيجة أبحاثه التي اندفع إليها مسوقاً بنزعته العلمية وإيمانه الديني، وتمثّل اللقاء بين العلم والإيمان في النظرة القائلة إنّ معرفة المخلوقات تؤدي بالإنسان الى معرفة الخالق. وهذا ما سنراه في هذا البحث.

هذا وقد قسّم البحث الى ستة مباحث، فقد تضمن المبحث الأول إعطاء نبذة مختصرة جداً عن حياة الجاحظ. وقد تضمنت دراسة عن حياته بدأت بالتعريف باسمه ونسبه وكنيته ولقبه، ثم ولادته ونشأته وطلبه للعلم، ثم مؤلفاته ووفاته.

أما المبحث الثاني فقد تطرقنا فيه الى دراسة مكانة البصرة العلمية والأدبية في القرن الثاني الهجري، وكيف تميزت عن بقية المدن الإسلامية بكثرة وتنوع مراكز الإشعاع الحضاري فيها.

أما المبحث الثالث فقد تضمن إبراز أهم خصائص مدرسة البصرة العلمية والأدبية وما انفردت به عن سائر الولايات والأمصار من التقدم الفكري آنذاك.

أما المبحث الرابع فقد تطرقنا فيه الى تأثير كتب الفلاسفة وكتب المعارف الطبيعية على تشكيل العقلية البصرية.

أما المبحث الخامس فقد تضمن الكلام فيه عن تأثير كتب المعتزلة والمتكلمين على العقلية البصرية.

أما المبحث السادس فقد جاء تحت عنوان مدلولات الشك والنقد عند علماء البصرة.

وختم البحث بذكر خاتمة، ثم بيان المصادر والمراجع التي تم اعتمادها في هذا البحث.

المبحث الأول
نبذة عن حياة الجاحظ

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه.

هو عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني، نسبة الى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة. لقب بالجاحظ لجحوظ عينيه أي نتوئها وكذلك بالحدقي[١]. واليه تنسب الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة، أما كنيته فهي أبو عثمان[٢]. وينحدر الجاحظ من أصول عربية على أغلب الروايات. وقد أكد ذلك وقال آخرون انه مولى غير عربي ينحدر من جبال النوبة في السودان لأن جد الجاحظ فزارة كان أسوداً وانه كان جمّالاً لأبي القلمس عمرو بن قلع الكناني ثم الفقيمي[٣]، مستندين في ذلك الى رواية ابن أخته يموت بن المزرع.

ومن هذا النسب تطرّق الشك الى بعض الأذهان في صحة عربية الجاحظ وأسرته، وبخاصة من ناحية ولائه لأبي القلمس الكناني، ولكن هذا لا يصح أن يؤخذ دليلاً على نفي العروبة عن الجاحظ، فلون السواد كان شائعاً بين العرب، بل ربما مما كانت تفتخر به وتفضله عن غيره من الألوان. وعلى ذلك فان أكثر المؤرخين قالوا انه عربي صليبةً وليس بالولاء[٤].

ولادته:

اتفقت الروايات حول مكان ولادة الجاحظ في البصرة بالعراق، ولكنها اختلفت حول سنة ولادته، فقسم قالوا إن ولادته كانت سنة (١٥٠هـ)[٥] وقال آخرون انه ولد سنة (١٥٩هـ)[٦] وذلك باستخدامهم طريقة الحساب لمعرفة العمر الحقيقي له معتمدين بذلك على كلام الجاحظ نفسه في آخر أيامه عندما قال لصديقه المبرّد وكان قد جاء لزيارته وهو مريض: «وأشدّ من ذلك ست وتسعون سنة أنا فيها»[٧]. وبطرح سنة وفاته المتفق

عليها وهي (٢٥٥هـ) من سنة مولده وهي (١٥٩هـ) يكون الناتج (٩٦) سنة وهو العمر الحقيقي للجاحظ. وبالجمع بين الروايات نستطيع أن نقول انه ولد في العقد السادس من القرن الثاني الهجري.

نشأته.

نشأ الجاحظ في البصرة التي ولد فيها، فهو ينحدر من أسرة متواضعة جداً في طبقتها الاجتماعية، وأبوه وأمه لا نكاد نعرف عنهما شيئاً. سوى رواية أشار إليها المرتضى[٨] أنها كانت تكفله وتتولى أمره وتنفق عليه. ومن هنا نعلم أن الجاحظ قد نشأ في بيئة كان يتخللها الفقر والبساطة. ولكنه لم يترك أمه لتتحمل أعباء الحياة لوحدها فقد شاركها في همها وكدها، عندما كان يبيع الخبز والسمك في سيحان وهو أحد أنهار البصرة[٩].

طلبه للعلم.

طلب الجاحظ العلم صغيراً في مساجد وكتاتيب البصرة التي كانت تعلّم الفتيان والصبيان الصنوف المختلفة من العلم وقد تأثر بالمعلمين اللذين شحذا طبعه وألهبا حماسه وتطلعه فقال: «وما كان عندنا بالبصرة رجلان أدرى بصنوف العلم ولا أحسن بيانا من أبي الوزير وأبي عدنان المعلمين وحالهما أول ما اذكر من أيام الصبا»[١٠]. وهذان المعلمان قد نبها الجاحظ على سلوك سبيل الأدب والعلم وأثارا فيه الرغبة القوية أن يلتمس ذلك في مسجد البصرة وفي مربدها بعد أن قضى في الكتاب حاجته، فالمسجد الجامع في البصرة كان يعد من أهم مراكز التقاء الفكر ونشره لأنه كان بصورة مدرسة جامعة لنشر العلم والثقافة.

مؤلفاته.

يعدّ الجاحظ من أغزر الكُتَّاب تأليفاً، ومهما اختلفوا في عدد مؤلفاته فقد خرج عن زهاء ثلاثمائة وستين مؤلفاً في ألوان شتى من المعرفة، ويؤكد ذلك سبط ابن الجوزي حين قال: «وأما مصنفاته فثلاثمائة وستون مصنفاً وقفت على أكثرها في مشهد الإمام أبي

حنيفة»[١١]. أما المسعودي فيقول: «ولا يعلم أحد من الرواة من أهل العلم أكثر كتباً منه»[١٢]. ولكن حسبنا ما أثبت في مقدمة كتابه الحيوان، وكتاب معجم الأدباء، والكامل في اللغة، وكشف الظنون، وغيرها لندرك وفرة العطاء عنده، وانه تجاوز بعدد كتبه المائة. ويؤكد ذلك ابن حجر فيقول: «وسرد ابن النديم كتبه وهي مائة ونيّف وسبعون كتاباً»[١٣].

أما ماذا عالج من أمور ومواضيع فيها سواء كانت مائة أو أكثر فهي تدلّ على سعة فكره وعلمه، وانه كان بحق سيد أدباء عصره لأن مؤلفاته كانت عبارة عن دائرة معارف عامة اتسعت لكل علوم عصره، واستوعبت أضخم تراث يستطيع القيام بعبئه أديب. ففيها كتابات في الأدب والشعر والديانات والعقائد وفيها أبحاث في السياسة والاقتصاد والصناعات والتجارة والطبيعيات والرياضيات والأخلاق وطبائع الأشياء. وله كتابات علمية حول المدن والأمصار والمعادن وجواهر الأرض والكيمياء والنبات والحيوان والطب والفلك والموسيقى. فهو لم يغفل أي باب يمتّ الى الحياة الاجتماعية والأدبية والعلمية في عصره وقبل عصره إلاّ وتناوله بالبحث والتمحيص.

وفاته.

اتفق أكثر المؤرخين على سنة وفاة الجاحظ وهي (٢٥٥هـ) كالخطيب البغدادي، وياقوت الحموي، وابن عساكر، وابن خلكان، وابن كثير وغيرهم[١٤]. وهناك روايات تجعل وفاته سنة (٢٥٠هـ) كما ذكرها الكتبي[١٥]، وهناك رواية تجعل وفاته سنة (٢٥٦هـ) كالمسعودي[١٦]، لكن الرأي الراجح والصحيح هي الرواية الأولى وذلك اعتماداً على كلام الجاحظ نفسه عندما قال لصديقه المبرّد عندما جاء لزيارته وهو مريض فقال: «دخلت على الجاحظ في آخر أيامه فقلت له: كيف أنت؟ فقال: كيف يكون من نصفه مفلوج لو حزّ بالمناشير ما شعر به، ونصفه الآخر منقرس، لو طار الذباب بقربه لآلمه، وأشد من ذلك ست وتسعون سنة أنا فيها»[١٧]. وباستخدام الفارق الحسابي من ولادته الى وفاته يتبين لنا ان سنة وفاته الصحيحه هي (٢٥٥هـ). وقد ذكر بعض المؤرخين روايات انفردوا بها عمن سبقهم مثل أبي الفداء وابن الوردي تجعل سبب وفاته هو سقوط مجلدات كتبه الكثيرة عليه، فقد كان من عادته أن يصف مجلداته قائمة كالحائط محيطة به وهو جالس إليها وكان عليلاً فسقطت عليه وقتلته في الحال[١٨].

المبحث الثاني
مكانة البصرة العلمية والأدبية في القرن الثاني الهجري

تميزت البصرة بمكانة علمية مرموقة في القرن الثاني الهجري وذلك لعدة أسباب ولعل أهمها هو موقعها الجغرافي والتجاري المتميز على الخليج العربي، وهذا الموقع قد أتاح للبصريين الاختلاط بأجناس مختلفة من الناس، وكانت ملتقى للنزعات المتعددة والثقافات المختلفة. وكانت عملية التزاوج بين مختلف الأمم نتيجة لانتشار الدين الإسلامي الحنيف والتي بدأت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب أثناء الفتوحات الإسلامية[١٩].

ومن كل ذلك فقد وقفت الأمم المغلوبة موقف المندهش، ثم بدأت تخضع للنظم الاجتماعية من اندماج في المجتمع الإسلامي وتعلّم العربية وغيرها. وكان من نتائج ذلك أن كل جنس بدأ يتعلم من الأجناس الأخرى ما يشعر بأنه آخذ منه بحظ أوفر في مختلف الثقافات. فالعربي يأخذ من الفرس والرومان حضارتهم، والفرس تأخذ من العرب الدين واللغة وما حملوه معهم من مشاعل الحرية والعدالة للتخلص من الظلم والاضطهاد[٢٠].

وظلّت هذه المعطيات سائدة في العصر العباسي كما كانت سائدة في العصر الأموي. والمهم من كل ذلك هو الموقع الجغرافي المتميز للبصرة الذي أتاح للبصريين أن يتنقلوا بين الأقطار المختلفة فيتصلوا بشتى الثقافات، ويشهدوا مختلف الحضارات. فتأثرت نتيجة لذلك عقولهم وأخيلتهم، واتسعت مداركهم ومثلهم[٢١]. وكذلك فقد تميزت البصرة بتعدد المراكز الفكرية والثقافية، الأمر الذي أدى إلى ازدهار الفكر وإلى اهتمام أهالي المدينة بهذه الأمور الثقافية، ويقف المسجد الجامع في البصرة وسوق المربد من أهم هذه المراكز الثقافية فيها.

أولاً- المسجد الجامع.

وكما هو معروف يعدّ أول وحدة عمرانية أسسها القائد العربي الشهير عتبة بن غزوان بأمر الخليفة عمر بن الخطاب على أرجح الروايات عام (١٤هـ)[٢٢]. وكان هذا المسجد يعدّ الصرح الثقافي الأول في البصرة وليس مكاناً للعبادة فحسب، بل تعددت وظائفه فأصبحت تشمل الجوانب السياسية والإعلامية والقضائية.

والأهم من كل ذلك ملتقى المفكرين والعلماء والأدباء، فقد صارت أساطينه تلك مواضع يتجمع حولها العلماء والشيوخ والمحدثين والطلاب والمشوقين للمعرفة، فتشكلت

حول كل أسطوانة من أساطينه حلقة دراسية، إذ كان الشيخ يجلس عندها ويتحلق التلاميذ حوله، فهناك حلقة للنحويين وأخرى للشعراء وحلقة للمفسرين وعلماء الحديث[٢٣].

ومن بين هذه الحلقات حلقة راوية العرب المشهور الأصمعي (ت:٢١٦هـ)، وكذلك حلقة الزاهد العابد الحسن البصري (ت:١١٠هـ) الذي كان تلميذاً في نفس المسجد لحبر الأمة المعروف عبد الله بن عباس ﷺ الذي كان يترأس حلقة يحاضر فيها في تفسير القرآن، وحلقة عالم الكلام واصل ابن عطاء والرياشي، وحلقة النحوي الكبير والمعروف الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:١٧٥هـ) الذي كان يترأس حلقة في اللغة والعروض والنحو. وكانت حلقة الأصمعي من أكثر الحلقات شعبية لما كان يتمتع به من أفق واسع وثقافة شاملة في فنون المعرفة الإنسانية. وغيرهم من كبار علماء البصرة، والذين ذكرهم الزجاج في كتابه مجالس العلماء، ما لا يحصون[٢٤]. وكان الناس يحضرون هذه الحلقات والمجالس، منهم من يبتغي تثقيف عقله وتوسيع مداركه، ومنهم من يطلب المتعة لنفسه بشهود ما فيها من مناظرات ومناقشات ومخاصمات عقلية عمّت البصرة جميعاً.

وهذا المظهر من مظاهر النشاط العلمي والأدبي قديم في البصرة، بل لعله أبرز ما يمتاز بها تاريخها، هو غلبة روح المخاصمة فيه، وهذا يرجع لذلك الطابع العقلي. حتى إذا كان العصر العباسي وكثرت فيه العناصر المختلفة من العقول كثرة غامرة، واشتبكت فيها أسباب الخصومات اشتباكاً شديداً بلغت روح المخاصمة أوجها فما تكاد تخلو منها بيئة من بيئاتها، دينية كانت أو أدبية أو علمية[٢٥].

وعلى ذلك كان مسجد البصرة من أهم مراكز التقاء الفكر ونشر الثقافة والعلم، وقد ذاعت شهرة حلقات مسجد البصرة الجامع والمناظرات التي كانت تعقد فيه في الأمصار الإسلامية. فكانت تشدّ إليه الرحال من شتى أطراف العالم الإسلامي لتلقي العلم في رحابه والاستماع الى العلماء والأدباء فيه، أو لأخذ الرواية من المحدثين والمفسرين وأهل اللغة[٢٦].

وقد ذكر المؤرخ العراقي المشهور الخطيب البغدادي رواية تتعلق بالإمام البخاري في إحدى رحلاته إلى البصرة، فقال: «سمعت يوسف بن موسى المروزي يقول: كنت بالبصرة في جامعها، إذ سمعت منادي ينادي: يا أهل العلم قد قدم محمد بن إسماعيل البخاري فقاموا في طلبه وكنت معهم، فرأيت شاباً لم يكن في لحيته شيء من البياض

يصلي خلف الاسطوانة، فلما فرغ من الصلاة أحدقوا بـه وسـألوه أن يعقـدهم مجلـس الإملاء[٢٧] فأجابهم الى ذلك. فقام المنادي ثانياً فنادى في جامع البصرة: قد قدم أبو عبـد الله محمد بن إسماعيل البخاري فسألناه أن يعقد مجلس الإملاء. فأجاب بأن يجلس غداً في موضوع كذا، قال: فلما كان بالغداة حضر الفقهاء والمحدّثون والحفّاظ والنظّـار، حتـى اجتمع قريب من كذا وكذا ألفاً»[٢٨]. وهي رواية توضح بجلاء الدور الذي لعبه المسـجد الجامع في تحريك الحياة الثقافية في المدينة.

ثانياً- سوق المربد.

ظهر في البصرة مركز آخر للإشعاع الثقافي والحضاري والفكري، والذي تمثل في سوق المربد، وهو في الحقيقة سوق من أسواق العرب في الجاهلية والإسـلام، وهـو كسوق عكاظ في الجاهلية، فقد كان سوقاً للتجارة، ثم للغة والأدب والشعر والنقد والبلاغة، وهو واقع على طريق من ورد البصرة من البادية، وكان يغشاه العرب قبـل أن يـدخلوا الحضر، لذا فقد كان سوق البادية في البصرة. ثم تطور بعد ذلك لتصبح سمعة البصـرة مميزة وفاقت كل الأمصار والحواضر الإسلامية في ذلك الوقت[٢٩].

وكان يجتمع في هذا السوق الشعراء والأدباء والخطباء يتبـارون ويتفـاخرون بأشعارهم وأنسابهم وقبائلهم، ويرد كل منهم الآخر في مساجلات قد لا تنتهي بمدة قصيرة، وكان يوصف بأنه مألف الأشراف ومجتمع الناس. وقد وصفه جعفر بن سليمان وهو أحد أعيان البصرة بأجمل الأوصاف حين قال: «العراق عين الدنيا، والبصرة عين العـراق، والمربد عين البصرة، وبيتي عين المربد»[٣٠]. وبما أن هذا السوق العلمي والأدبـي لـه أهميته وسمعته التاريخية والتي انعكست نتائجه ايجابيا على البصرة. فقـد انتسـب إليـه الكثير من رواده ومنهم الجاحظ وعلى مختلف اتجاهاتهم سواءً العلمـاء أو المحـدثين أو الأدباء أو الشعراء الذين كانوا يسمون المربديين، مثل سمّاك ابن عطية المربدي البصري، وعباس بن عبد الله المربدي، وأبو عمرو القاصم بن جعفر المربدي القاضي[٣١].

وقد امتدح الجارود بن أبي سبرة وهو أحد أعيان البصرة ووجهائها المربد فقال: «عليكم بالمربد فانه يطرد الفكر ويجلو البصـر ويجلـب الخيـر ويجمـع بـين ربيعـة ومضر»[٣٢].

وكان الجاحظ أحد رواد هذا الملتقى الثقافي البارز، والذي ذكره ياقوت في معجمه بأنه كان يتلقى الفصاحة شفاهاً من أفواه الأعراب الذين كانوا يقدمون المربد. وقد أكد الجاحظ ذلك بقوله: «أدركت رواة المسجديين والمربديين»[٣٣]. أما أبو حاتم السجستاني فله رواية يقول فيها: كنت أختلف مع أبي عبيدة والأصمعي إلى الأشراف بالمربد من رهط سليمان ابن علي للاستماع الى ما يقرأ عليهما من كتب. أما أبو نؤاس فقال:« بكّرت الى المربد ومعي ألواحي أطلب أعرابياً فصيحاً»[٣٤].

ثالثاً- المجالس الأدبية.

فضلاً عن المسجد الجامع وسوق المربد، فقد ظهر في البصرة مركز آخر للثقافة العلمية والأدبية ألا وهي المجالس الأدبية والشعرية واللغوية، ورغم انها كانت مقتصرة على فئة معينة من الناس كالأمراء والتجار والأشراف، لكنها لعبت دورا مهما في توسيع دائرة النشاط الفكري والمعرفي في البصرة. وقد كانت هذه المجالس تعقد في أماكن مختلفة، كأن تكون في بيوت هؤلاء الأمراء أو السراة أو التجار[٣٥]، التي أصبحت بيوتهم بمثابة منتديات أدبية وشعرية يلتقي فيها الأدباء والشعراء واللغويون والنحاة ليشبعوا نوازعهم العقلية والعلمية التي كانت تتحفز فيهم لثقافتهم العالية ولحبهم للعلم وحبهم للمنافسة والمغالبة كما ذكرنا في المبحث الأول والتي كانت صفة تكاد تكون ثابتة في العالم أو الأديب البصري.

وقد اشتهرت البصرة بكثرة هذه المجالس فيها، كمجلس سليمان بن علي العباسي عم الخليفة أبي العباس السفاح الذي عيّنه والياً على البصرة، والذي كانت داره ودور أولاده من أشهر مجالس البصرة العلمية والأدبية[٣٦].

وكان يتردد على هذه المجالس راوية العرب المشهور الأصمعي واللغوي المؤرخ المعروف أبو عبيدة بن المثنى، وكذلك كانت دار أبو عمرو بن العلاء عالم النحو واللغة وأحد القرّاء السبعة المشهورين، من أشهر الدور التي شهدت الندوات العلمية والمناظرات التي كانت تدور بين علماء النحو واللغة بصورة خاصة[٣٧].

وكذلك كانت قصور الخلفاء تعجّ بهذه المنتديات العلمية نتيجة لاهتمامهم بها، ولأنهم أيضاً كانوا يمتلكون رصيداً علمياً عالياً في ميدان اللغة والشعر والأدب، لا سيما

خلفاء العصر العباسي الأول ومنهم أبو جعفر المنصور، فقد روى إسحاق بن سليمان الهاشمي فقال: «دخلت على المنصور يوماً والديوان قد غصّ بأهله فقال: بلغني انك تقول الشعر؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فأنشدني شيئاً منه، فأنشدته قصيدة طويلة فيها مدح له، فلما فرغت قال: يا بني مالك والمديح! إيّاك وإيّاه! واحذر الهجاء! فإنهما لا يشبهانك، وعليك من الشعر بالبيتين والثلاثة، تقول ذلك تطرّباً، وتذكر فيه فضلاً وتحبّبا»[٣٨].

ولم تقتصر هذه المجالس على الأدب والشعر واللغة، بل كانت أيضا مجالس علمية بحتة تهتم بالعلم الطبيعي، ومن ذلك ما رواه الجاحظ حين وصف دور آل سليمان العباسي وأولاده ومحمد واحد منهم فقد كان يجري التجارب العلمية الصرفة على بعض الحيوانات كالإبل والبقر والخيل والنسور والظباء وغيرها من التجارب ليرى ما تبلغ الخمر منها[٣٩].

وكذلك ما أشار اليه ابن أبي أصيبعة عندما قال: «وقد وجدت في بعض الكتب أن منكة الهندي كان في جملة إسحاق بن سليمان بن علي الهاشمي»[٤٠]. وأشار إليه أيضاً ابن النديم في بعض الكتب التي فسّرها له عندما ذكر أسماء النقلة من اللغات الى العربية إن أحد هؤلاء النقلة وهو دار يشوع كان يفسّر لإسحاق بن سليمان بن علي من السريانية الى العربية[٤١].

المبحث الثالث
خصائص مدرسة البصرة العلمية

نتيجة لكل ما ذكرنا عن مكانة البصرة العلمية بين الأمصار الإسلامية، فقد تم لها ذلك المزاج العقلي الذي يتألف من سعة الأفق، وشدّة التطلّع، وحرية الرأي، وسرعة الذكاء، وحب المنافسة والمغالبة، إضافة الى ما امتازت به مدرسة البصرة العلمية والأدبية من سرعة الذيوع في الأقطار البعيدة[٤٢]. والجاحظ هو خير مثال لذلك، فهذا هو أبي هفّان وهو أحد معاصري الجاحظ وقد قيل له: «لم لا تهجو الجاحظ وقد ندد بك وأخذ بمخنقك؟ فقال: أمثلي يخدع عن عقله؟ والله لو وضع رسالة في أرنبة أنفي، لما أمست إلاّ وهي بالصين شهرة، ولو قلت فيه ألف بيت لما طنَّ منها بيت في ألف سنة»[٤٣].

وليس في هذا القول مبالغة فهو أبرز علماء ومفكري البصرة والأمّة في وقتــه. فقد كانت كتبه تقرأ في الأندلس والأقطار البعيدة. فهذا هو بشار بن برد الشاعر المعروف يصف شهرة كتب ورسائل الجاحظ في شعره فيقول:

وقد ملأت الــبلاد مــا بــين فغــــ فـــور الـــى القيـــروان فـــاليمنِ
شـــعراً تصـــلي لـــــه العواتـــق والثيـــب صـــلاة الغـــواة للـــوثنِ[٣]

كذلك ومن خصائص هذه المدرسة هو الجمع بين العلوم الكثيرة والمختلفة، فإذا نظرنا في سير بعض الأدباء في البصرة، والكلام يتحقق وينطبق على شــيوخ الجــاحظ، تبين لنا إنهم كانوا يكتبون في مواضيع شتى كالحيوان والنبات والفلك والطــب، فــاطّلاع الكاتب أو الأديب على أنواع متعددة من العلوم كان أمراً لا مندوحة عنه.

وقد أشار لهذا ابن قتيبة (ت:٢٧٦هـــ) وهو ممن أدرك عصر الجــاحظ فقــال: «ولابدَّ له مع كتابنا هذه من النظر في الأشكال لمساحة الأرضين حتى يعرف المثلث القائم الزاوية والمثلث المنفرج ومساقط الأحجار والمربعات المختلفات، والقســيّ والمــدوَّرات والعمودين، ويمتحن معرفته بالعمل في الأرضين لا في الدفاتر فان المخبر ليس كالمعاين، وكانت العجم تقول: من لم يكن عالماً بإجراء المياه، ومجاري الأيام في الزيادة والنقص، ودوران الشمس، ومطالع النجوم، وحال القمر، ووزن الموازين، وذرع المثلث والمربــع والمختلف الزوايا، ونصب القناطر والجسور، ودقائق الحساب، كان ناقصــاً فــي حــال كتابته»[٤٤].

ويستطرد ابن قتيبة في وصف كتّاب البصرة فيقول: «ولا بدَّ له مع ذلــك مــن النظر في جمل الفقه ومعرفة أصوله من حديث رسول الله ﷺ والصحابة، ولا بد له مــع ذلك من دراسة أخبار الناس وتحفظ عيون الحديث ليدخلها في تضاعيف سطوره متمــثلا إذا كتب، ويصل بها كلامه إذا حاور، ومدار الأمر على القطــب وهــو العقــل وجــودة القريحة»[٤٥].

وما من شك فان كل تلك العلوم لم تكن لتتحصّل على أي عالم أو مفكر أو أديب بصري إلاّ بوجود العامل الرئيسي المهم الذي يغذّي تلك الــروح المتطلّعــة والمشــوّقة للمعارف والتي تلهب وتوقد الجذوة العلمية الملتهبة في البصرة ألا وهي بيئة الكتب. فقــد

كانت البصرة في عهد الجاحظ تعجّ بدكاكين الوراقين، فقد قامت بالبصرة سوق لهم منذ أواسط القرن الأول(٤٦).

وهذه البيئة كانت أعظمها أثراً في تكوين شخصية الجاحظ. فالبصرة كانت يوم ذاك مثابةً للكتب المختلفة بكل اختصاصاتها وموردا للثقافات المتباينة. وقد جعلت هذه الكتب تترك آثارها في مظاهر الحياة العقلية فيها(٤٧). وبما إنّ بعض علماء البصرة كان غزير الإنتاج كأبي عبيدة الذي تجاوزت مؤلفاته المائة كتاب، فقد كان له ورّاق خاص به اسمه دماذ، وغيره من الوراقين الذين امتلأت دكاكينهم بالكتب المختلفة وبذلك أصبحت هذه البيئة العلمية من أعظم بيئات البصرة وأوسعها وأبعدها سلطانا(٤٨).

وكان الجاحظ أحد هؤلاء الروّاد، فقد حكى ياقوت الحموي وابن شاكر الكتبي عندما ترجما للجاحظ عن أبي هفّان انه قال: «لم أرَ من أحب الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ، فانه لم يقع بيده كتاب إلاّ استوفى قراءته كائناً ما كان، حتى انه كان يكتري دكاكين الورّاقين فيبيت فيها للنظر في الكتب»(٤٩).

كذلك ومن خصائص مدرسة البصرة هو اطلاّع علمائها على ثقافات وعلوم الأمم الأخرى، كالثقافة اليونانية والفارسية والهندية وغيرها، وذلك عن طريق قراءة كتبهم المترجمة، أو مجالسة المتكلمين لكثير من المثقفين باليونانية أو الفارسية. وكان الجاحظ أحد علماء البصرة الذين تأثروا بخطابة أرسطو الى حد بعيد، ولم يكن الجاحظ متأثرا بالفلسفة اليونانية فحسب، بل كان عقله الجبار ينتقد بعض الآراء اليونانية وينقد التراجمة، ومن ذلك نقده الكندي الفيلسوف في بعض آراءه، ونقد كتاب المنطق لأرسطا طاليس وقال: «إنّ اسلوبه عقيم»(٥٠).

وعندما ينقل آراء أرسطو كان يعلّق على بعضها بقوله: «هذا غريب، أو لم أفهم هذا، ولم كان ذلك». ونلاحظ أثر الثقافة اليونانية في كتابه البيان والتبيين وفي كتاب الحيوان، فقد قرأ الجاحظ من كتب أرسطو المترجمة كتاب الحيوان واستدلّ برأي أرسطو، وكان مصدراً كبيراً له في كتابه المشهور (الحيوان). ومثل ذلك يقال عن إطلاّعه على الثقافة الفارسية التي برع فيها أيضا، ومن يقرأ رسائله وكتبه فسيجد الألفاظ الفارسية متناثرة هنا وهناك لنعلم مدى تعمقّه فيها بحيث انه استعمل ألفاظهم، ولم يكتف بهذا بل ونقدها أيضاً(٥١).

ويرى الجاحظ إنَّ لليونان فلسفةً وصناعةً ومنطقاً، أما بالنسبة للخطابة فليس لفلاسفتهم ذكر. ويذكر إنّ للفرس رسائلهم وخطبها وألفاظها ومعانيها، ولليونان رسائلها وخُطبها وعِللها وحِكَمها وكُتبها في المنطق، وللهند حِكَمها وسِيَرِها وعِللها. ويرى أنها لا توازن بما للعرب من بيان وبلاغة وصناعة وخطابة(٥٢).

ومن كل هذا يتبين لنا أنَّ الأدباء في البصرة من معاصري الجاحظ على اختلاف توجهاتهم كانوا أصحاب أفق واسع وعقل راجح ولم يقتصروا على الثقافة الأدبية الفنية وحدها بل تجاوزوها الى علوم أخرى وثقافة أخرى بعيدة كل البعد عن صلب اختصاصهم كالهندسة والفلك والحساب فضلا عن الفقه والاجتماع والتاريخ والفلسفة وغيرها من العلوم الصرفة والذين يسمون بالموسوعيين، ولم يكتفوا بذلك بل كانوا مكتشفين، وفي هذا يقول المؤرخ محمد كرد علي: «لقد طاف الجاحظ بأرض العراق والشام وفارس والروم والجزيرة وبلاد العرب، ولم يكن أديباً فحسب، وإنما كان عالماً في الوقت نفسه حتى قيل: إنّ كتبه تعلّم العقل أولاً والأدب ثانياً»(٥٣).

وكذلك ومن خصائص مدرسة البصرة العلمية هو حب المناظرة والمنافسة والمخاصمة والجدل. وربما يعود ذلك الى أنّ البصرة كانت مهد الاعتزال وبلد المعتزلة، ويؤكد ذلك ما رواه النويري من الأقوال عن خصائص البلدان عبارة عن بختيشوع طبيب الخلفاء عدّ فيها تسعة أجناس، لكل جنس خاصيّتها العقلية والخلقية فقال: «تسعة لا تخلو من تسعة: قُمّي من رعونة، ويَماني من جنون، وواسطي من غفلة، وبصري من جدل... الخ»(٥٤).

وقد انتعشت وازدهرت فيها تلك الفرقة، وكان الجاحظ أحد رموزها وأعمدتها، لا سيما بعد أن تولّى المأمون الخلافة واتجّه نحو الاعتزال، فأقبل على أصحابه العقليين إقبالاً خاصّاً فاتخذ منهم بطانته وأهل مشورته، فأباح الكلام، وأظهر المقالات، وشجّع على المناظرة، وجعل مجالسه مجالس بحث ونظر وحوار بين المذاهب المختلفة(٥٥).

وأقبل على هذه المتعة العقلية يحيط بها نفسه ويملأ بها حسّه، ولم يكن هناك من يستطع أن يعمّر هذا المكان خيراً من المعتزلة الذين اصطفاهم وأدناهم، وكان الجاحظ أحد هؤلاء فاستطار صيته وبلغت شهرته الآفاق(٥٦).

ومما لاشك فيه فان طبيعة الفرقة المعتزلية هي الجدال والكلام والخوض في مسائل العقيدة، فكان من الطبيعي أن تكون المناظرات حامية الوطيس وعلى أشدّها في البصرة وذلك بسبب توفّر عوامل كثيرة وعديدة، منها كثرة العلماء من المعتزلة والمتكلمين وأصحاب الأثر الذين ردّوا عليهم مقالاتهم، لأنهم تركوا مدرسة الحديث والتفسير وتمسّكوا بالعقل وما أفرزه من نتائج جرّت عليهم اتهامات كثيرة وخطيرة.

وقد أكدّ الجاحظ ذلك فقال يحكي عن نفسه: «إنّه كان يخرج هو وفلان وفلان من أئمة المتكلمين كأبي إسحاق إبراهيم النظّام يبتغون الحديث ويتناظرون في مسائل الكلام»(٥٧). كذلك ومما يدلّ على قدم روح المخاصمة في البصرة ما رواه ابن عساكر في تأريخه فقال: «كان زريع على عسس بلال فقال له يوماً: يا بنيّ إنّ أهل الأهواء يجتمعون في المسجد ويتنازعون فاذهب فتعرّف ذلك، فذهب ثم رجع اليه فقال: ما وجدت فيه إلا أهل العربية حلقة حلقة»(٥٨).

ومن المهم أن نذكر دور بعض الأسر البصرية العريقة التي كانت تتخذ من دورها منتديات أدبية مثل أسرة قتيبة بن مسلم وهذه الأسرة مشهورة وهي أحد بيوتات الإسلام الثلاثة كما يعدها الجاحظ مع بيت المسامعة وبيت المهالبة وبيت مسلم أبي عمر بن قتيبة . وكذلك يعدّها ابن الفقيه من بيوتات البصرة الأربعة التي تفاخر الكوفة بها، إذ ليس فيها مثلها ويزيد عليها بيت آل الجارود بن عبد القيس(٥٩).

المبحث الرابع
تأثير كتب الفلاسفة وكتب المعارف الطبيعية على تشكيل العقلية البصرية

لقد كانت البصرة كما ذكرنا سابقاً بيئة خصبة للكتب على اختلاف أنواعها، كونها مورداً للثقافات المتباينة. وقد جعلت هذه الكتب تترك آثارها في مظاهر الحياة العقلية فيها، وكتب الجاحظ خير مثال على ذلك. ومن هنا يمكننا القول إن هذه الكتب كانت من أقوى العوامل التي ساعدت على تشكيل العقلية البصرية(٦٠). فقد كانت البصرة في تكوينها الاجتماعي تضم طوائف مختلفة ومنها السريان الذين كان منهم علماء يمثلون شيء من الحياة العلمية القديمة في المنطقة، كونهم كانوا يمثلون حلقة وصل بين قديم

البصرة وحديثها. فقد تعلموا العربية ثم أخذوا ينقلون إليها ما كانوا يعنون بعلمه من كتب الأوائل ومن أقدم هؤلاء ماسرجويه(٦١).

وهنا نعلم أيضاً أنّ الجاحظ سمع من الفلاسفة وقرأ كتب الأطباء والمتكلمين، فضلاً عن كتب الأدب التي تبحث عن اللغة والنحو والنوادر والأخبار والأشعار والغرائب وغيرها، وقرأ كتباً غيرها نقل عنها، منها كتاب الفراسة لإقليمون، وكتاب الطباع لماسرجويه، وكتاب المنطق لأرسطاطاليس، وكتاب إقليدس، ونقل عن بختيشوع، وعن حنين، وعن جالينوس وغيرهم. فقد نظر في كل الذي أودعته الأوائل كتبها وخلّدته في عجيب حكمتها، ودوّنته من أنواع سيرها، بحيث أصبح له اطلاع عام على الأفكار والمعاني(٦٢).

ومن هنا يتبين لنا نتائج ثقافته العامة، فلم يخف عليه موضوع من الموضوعات. فربما انه لا يتعمق في الموضوع تعمق أهل الاختصاص إلا إنّه قد يلمّ به الماماً بحيث لا يكون غريباً عنه، وقد طبعت قراءته الكتب على مختلف معانيها ثقافته بطابع خاص بحيث أصبح ذو ذهنية فريدة لا نشكو منه قحطاً في فكر، أو جدباً في معنى. ولم تخل ثقافته من يونانية أو فارسية، فعلى الرغم من براعته وقيادته لأدب العرب ودفاعه عنه في معظم كتبه، فلم يتحرّج ويتورّع في الأخذ عن اليونانيين أو الفرس.

وقد جاء في كتابه المشهور الحيوان ما يؤيد نقله وأخذه منهم فقال: «وقد نقلت كتب الهند، وترجمت حكم اليونان... وحوّلت آداب الفرس فبعضها ازداد حسناً وبعضها ما انتقص شيئاً... وقد نقلت هذه الكتب من أمة الى أمة، ومن قرية الى قرية، ومن لسان الى لسان... حتى انتهت إلينا، وكنا آخر من ورثها ونظر فيها»(٦٣).

والذي يستنتج من كل ذلك ان الجاحظ ورغم كل ما كان يحيط عصره وبيئته ووضعه المعاشي وفقره المعدم في مجتمع البصرة لم يمنعه ذلك من تحصيل كل تلك العلوم والفنون التي برع فيها ولم يحصل على تلك المنزلة الرفيعة بين الناس إلاّ بفضل جدّه ومواظبته على التجديد والإبداع في عمله، وقد عبّر عن تلك الحالة أجمل تعبير فقد ذكر الأمم التي فيها الأخلاق والآداب والحكم والعلم فقال: «هذه الأمم أربع، وهي العرب والهند وفارس والروم. ورأى أنّ العرب أنطق وأنّ لغتها أوسع وان لفظها أدلّ وأن تأليف

كلامها أكثر، والأمثال التي ضربت أجود وأسير، والبديهة مقصورة عليها، والإرتجال والإقتضاب خاص فيها»(٦٤).

ومن كل هذا فما كان الجاحظ يستنكف عن أن يقول: قال جالينوس، وقال صاحب المنطق، وقال بختيشوع وغيرهم، فالجاحظ نزّاع الى التجديد، فهو لا يرى بأساً بأن يدخل العربية عنصر من عناصر آداب الأمم المعروفة في عصره المشهورة بالعلم والحكم والأخلاق والآداب. وجملة القول إن الجاحظ لم تخل ثقافته من عنصر يوناني، ولا يستبعد انه كان يعرف اللغة الفارسية، ولم يكتف على ذكر اللفظة ومعناها بل تعمّق في أسرارها، والأمثلة على ذلك كثيرة في كتابه الحيوان والبيان والتبيين وغيره(٦٥).

وبالتأكيد فان كل تلك العلوم والمعارف الأجنبية لم تكن لتنتشر في البصرة لولا وجود الكتب التي تعنى بالعقل والفلسفة، وقد انتشرت في أهم بيئتين في العراق وهما الكوفة والبصرة التي لم يكن الأمر فيهما مقصوراً على كتب الفقه والحديث وغيرها، وإنما كان لكتب الفلسفة والعقل نصيب فيها. ومن ذلك ما حكاه المرتضى فقال: «إنَّ أبا إسحاق النظّام مرّ بالكوفة، وهو في طريقه الى الحج فنظر فيها في بعض كتب الفلاسفة، فلما ورد البصرة كان يظن أنه علم من لطيف الكلام ما لم يعلم أستاذه أبو الهذيل العلاّف، قال النظّام: فلما ناظرته خيّل إليّ أن لم يكن متشاغلاً قطّ إلاّ بها»(٦٦).

والنظّام هذا هو شيخ الجاحظ وصاحب العقلية المعتزلية، وقد تأثر به الجاحظ كثيراً لأنه كان أول من فتح ذهنيته الى آفاق بعيدة وألوان مختلفة من المعرفة، وقد لازم الجاحظ شيخه ملازمة قوية بحيث كان يوصف أنه غلام النظّام(٦٧). ومهما كانت تعني كلمة الغلام في تلك الرواية فإنها تدلّ على إنه كان تلميذاً له لا أكثر.

وقد وصف المؤرخين النظّام بأنه من أصحاب النفوس المفتوحة التي لا تحتجز شيئا والعقول الفسيحة المدى الواسعة الأفق والأخيلة الخصبة التي تستطيعان تتمثل كل شيء وتردّه في أدق الصور وأحسنها، والألسنة الطليقة التي لا تتردد ولا تلبث ولا تحاذر، فكأنما خلق بذلك ليكون أستاذا ومعلم جيل وموجّه مذهب، اذ كانت هذه الصفات من أخصّ خصائص الأساتذة والمعلمين أصحاب المبادئ والآراء(٦٨).

المبحث الخامس
تأثير المتكلمين على العقلية البصرية

لقد كانت البصرة أرضاً خصبة للفرق الإسلامية بصورة عامة ومنها المعتزلة والمتكلمين بصورة خاصة، وقد أكّد الجاحظ ذلك نفسه حين قال: «وقد علم الناس أنَّ الكلام مقصور على أهل البصرة، وأنه ليس لسائر الأمة إلاّ ما صار اليهم من فضالاتهم وما نقلته عنهم»[٦٩]. فمن المعروف تاريخياً إن النظريات والأفكار التي جاء بها مفكروا المعتزلة وعلماء الكلام البصريين في مسائل الصفات الإلهية ومسألة خلق القرآن كان لها أثراً كبيراً في تطور الفكر الفلسفي العربي، وكذلك فان مدرسة الاعتزال في البصرة تعدّ المدرسة الرائدة في إقرار هذه المبادئ والأفكار العقلية والتي نشأت على يد واصل بن عطاء (ت:١٣١هـ)[٧٠].

وكان واصل في بداية نشأته تلميذاً يتردد على حلقة الزاهد المعروف الحسن البصري، وظلّ معه الى أن اختلف مع شيخه في مسألة فلسفية[٧١]، مما اضطر شيخه الحسن البصري أن يبعده عن حلقته وقال له: اعتزل عنا. فأسس واصل حلقةً مستقلةً خاصةً به، وانظم إليه بعض الأتباع كعمرو بن عبيد وبشار بن برد وصالح بن عبد القدوس وغيرهم. وتطورت هذه الحلقة لتصبح مركزاً للتثقيف في ميدان الاعتزال العقلي والفلسفي، والتي كان لها الفضل الكبير في التأثير على مدارس الاعتزال الأخرى التي ظهرت فيما بعد في مدن أخرى مثل مدينة بغداد[٧٢].

وكما ذكرنا سابقاً فقد كان أبرز شيوخ المتكلمين في البصرة هو إبراهيم بن سيّار النظّام والذي كان بمثابة الأب الروحي للجاحظ. فقد تتلمذ على يديه وأعجب به أيّما إعجاب، فاتصل الجاحظ به في مقتبل عمره عن طريق أحد سراة البصرة ويدعى مويس بن عمران[٧٣]. فقد جاء في أخبار أبي نؤاس لابن منظور المصري قال الجاحظ: «سمعت النظّام يقول- وقد أنشد شعراً لأبي نؤاس- كأنَّ هذا الفتى جمع له الكلام فاختار أحسنه». فالجاحظ كان متصلاً بالنظّام حين كان أبو نؤاس يوصف بأنه فتى، ووصف الجاحظ بأنه غلام النظّام [٧٤]. وأكبر الظن أنّ عمر الجاحظ كان في تلك الحقبة خمس وعشرون سنة.

وهكذا لم تلبث الصلة بين الرجلين أن قويت واستحكمت، فقد وجد في أستاذه النظّام المثال العلمي الرائع الذي كان يتطلّع إليه عقله، ويهفو إليه خياله. ووجد في

عباراته الساحرة ومناظراته الماهرة البارعة ووثباته الذهنية الرائعة التي تربط بين مسائل الكلام والفلسفة في قوة وإحكام واتّساق، والى جانب ذلك فقد كانت دعاباته العابثة الماكرة وسخريته النافذة في لطف وخفة. كل ذلك وجد الجاحظ عنده غذاءه العقلي ومتاعه النفسي الذي طالما سعى إليه وتوثّب نحوه. فقد كان التطلّع الى معرفة كل شيء أبرز الخصائص العقلية عند الجاحظ منذ أول عهده الى أن تقدمت به السنّ، كما كان أبلغها أثراً في توجيهه وتكييف عقله(٧٥).

وكان النظّام من أوسع أهل عصره معرفة وأكثرهم إحاطة كما يلاحظ ذلك من خلال وصف الجاحظ له فقد قال: « كان إبراهيم بن سيّار فروضياً عروضياً وكان حاسباً ومنجّماً، وكان نسّاباً وكان حافظاً للقرآن العظيم وتفسيره وللتوراة والإنجيل والزبور وكتب الأنبياء، وكان قد عالج الكيمياء وعرف مذاهبها، وكان أروى الناس لكلام الأوائل ولصنوف نحل الإسلام، وأحسن الناس احتجاجاً وأبلغهم في الاحتجاج لساناً، وكان صاحب حديث عالماً وكان له نسك وخالط الصوفية وأصحاب المضمار وعرف اختلافهم، وكان يقول الشعر إذا أراده، وكان حسن العلم بالنحو»(٧٦).

إذن ومن كلّ ذلك الوصف نعلم أن الجاحظ ذلك الإنسان المتطلّع الى معرفة كلّ شيء قد وجد عالماً كالبحر زخّاراً بكل شيء، كما وجد فيه ذلك الأستاذ الذي يرضي نوازعه العقلية المتوثبة وعواطفه الدافقة، وبالمقابل أيضاً فقد وجد النظام في الجاحظ شاباً مجتهداً شديد التطلّع متوثب العقل الى الآفاق البعيدة. فتكونت بينهم علاقة قوية حرص عليها الجاحظ وظلّ يلازم مجلسه ويقرأ كتبه ويشهد مناظراته ويسير بسيرته ويرحل برحلته فتأثر به أشد التأثر في تكوين شخصيته وعقليته وفكره(٧٧).

وبما إن النظام كان متكلماً مشهوراً ومن كبار رجال المعتزلة فقد كان تأثيره كبيراً على تكوين الجاحظ الثقافي وتوجهاته الفكرية، وإنّ تتلمذ الجاحظ على النظّام وأخذه العلم عنه قد جعله يلتزم بمذهب المعتزلة في أصول الدين وفي منظوره العام عن الحياة وقد ظهر ذلك بشكل قوي ومؤثر في كتاباته ومواقفه العامة(٧٨). وليس أدل على ذلك وصف المؤرخ ياقوت الحموي له عندما قال: «واذا تدبّر العاقل المميز أمر كتبه علم أنه ليس في تلقيح العقول وشحذ الأذهان ومعرفة أصول الكلام وجواهره، وإيصال خلاف

الإسلام ومذاهب الاعتزال الى القلوب كتب تشبهها، والجاحظ عظيم قدر في المعتزلة وغير المعتزلة، من العلماء الذين يعرفون الرجال ويميزون الأمور»[٧٩].

وقد بقي الجاحظ يُكنّ لشيخه كل المودّة والاحترام ويظهر له الإجلال والتعظيم فهو كثير الإشادة بذكره وعظيم أثره على المعتزله والمتكلمين والمسلمين عامة فقال: «ولولا مكان المتكلمين لهلكت العوام من جميع الأمم، ولولا مكان المعتزلة لهلكت العوام من جميع النحل، ولولا إبراهيم النظّام لهلكت العوام من المعتزلة، فقد أنهج لهم سبلاً وفتق لهم أموراً »[٨٠].

المبحث السادس
مدلولات الشك والنقد عند علماء البصرة

كان الجاحظ ومنذ طفولته متطلّعاً، فكل شيء يعرض له يثير عنده رغبة البحث ونزعة التطلّع، فينبعث وراءه ويحصّله، ثم يثير فيه مرة أخرى نزعة التفتيش والتمحيص والنقد، إضافة الى أنَّ هذه الظاهرة كانت عنده بعيدة الأثر في تكوين عقليته، علماً إنَّ هذه النزعة كانت موجودة في عصره ومعروفة عند علماء البصرة، ولكن الجاحظ تمثّلها تمثيلاً حقيقيا كانسان وكعالم يجعل من الحياة ومشاهداته اليومية وكل ما يحدث فيها أمراً يثير عنده الشكوك كي تزداد معارفه ثم يشبع ذاته ورغباته في الوقوف على تفسير تلك المشاهدات.

لقد صوّر الجاحظ تلك الحالة أدقّ تصوير حين قال: «والعوام أقلّ شكوكاً من الخواص لأنهم لا يتوقفون في التصديق والتكذيب، ولا يرتابون بأنفسهم، فليس عندهم إلاّ الإقدام على التصديق المجرّد، أو على التكذيب المجرّد، وألغوا الحال الثالثة من حال الشك التي تشتمل على طبقات من الشك»[٨١].

ولم يكتف الجاحظ بذلك بل يزيد من شكوكه كي يصل في نهاية المطاف الى نتيجة ترضي عقله الشاك والمتطلع للمعرفة. لقد أصبحت تلك النزعة عنده نوعاً من الكلف والشغف بالمعرفة في نفسها فهو لا يفتأ يطلب كل شيء لا يكاد ينصرف أو يفتر في الطلب قد خلقت في نفسه الشغف بكل موضوع من موضوعات تلك المعرفة[٨٢].

فقال في سياق ذكره لبعض طبائع وعجائب الحيوان: «ولم أكتب هـذا لتقربـه، ولكنها آية أحببت أن تسمعها، ولا يعجبني الإقرار بهذا الخبر، وكذلك لا يعجبني الإنكـار له، ولكن ليكن قلبك الى إنكاره أميل، وبعد هذا فاعرف مواضع الشك وحالاتها الموجبـة له، لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له، وتعلم الشك في المشكوك فيه تعلمـاً، فلو لم يكن في ذلك ألا تعرف التوقف ثم التثبت لقد كان ذلك مما يحتاج اليه، ثم اعلـم أنَّ الشك في طبقات عند جميعهم، ولم يجمعوا على إنَّ اليقين طبقات في القوة والضعف»(٨٣).

وهكذا نرى إنّ الشك عند الجاحظ كان يمثل نزعةً طبيعية قبل أن يكون اسـلوباً علمياً يجعله بمثابة قانون أو منهج علمي يلتزم به في البحث والتنقيب. لقد كان الجـاحظ مطبوعاً على البحث عن أصل كل شيء وعن علّته دون أن يقتصر على الانقياد والتقليد، وهذه من الصفات التي انفرد بها عن سائر علماء عصره بصورة أكثر توسعاً من غيـره من علماء ومفكري البصرة.

وكذلك نرى أنَّ هذه النزعة تمثلت أيضاً بشيخه النظّام الذي يقول: «نازعت من الملحدين الشاك والجاحد، فوجدت الشكّاك أبصر بجواهر الكلام من أصـحاب الجحـود. ويقول أيضاً: الشاك أقرب اليك من الجاحد، ولم يكن يقين قط حتى صار فيه شـك، ولـم ينتقل أحد عن اعتقاد الى اعتقاد غيره حتى يكون بينها حال شك»(٨٤).

إذن فهو لا يؤمن بالأمور قبل أن يعمل عقله في أصلها، ولنأخذ مثال على ذلك. قال أبو إسحاق النظّام: «بلغني وأنا أحدّث أن النبي ﷺ نهى عن اختناث فم القربة والشراب منه، قال: فكنت أقول إن لهذا الحديث لشأناً! وما في الشرب من فم القربة حتى يجيء فيها هذا النهي، حتى قيل إن رجلاً شرب من فم قربة فوكعته حية فمات، وان الحيّات تدخل في أفواه القرب، علمت أن كل شيء لا أعرف تأويلـه مـن الحـديث أن لـه مـذهباً وان جهلته»(٨٥).

وكلّ ما ذكرناه لا يعني أنَّ الجاحظ يزن الأمور في ميزان العقل دائماً ويكون هو الأصل فيها. فثمة خرافات ومعتقدات كان قد حذّر منها كثيراً ولم يعمل عقله فيهـا ولـو لبرهة صغيرة من الزمن. وهناك أمثلة كثيرة نأخذ منها ما رواه في كتابه الحيوان فقـال: «قد سمعت من يذكر أن كبر أذن الإنسان دليل على طول عمره، حتى زعموا أن شـيخاً من الزنادقة لعنهم الله تعالى قدّموه لتضرب عنقه، فعدا إليه غلام سندي كان له فقال: أليس

قد زعمت يا مولاي أن من طالت أذنه طال عمره؟ قال: بلى! قال: فها هم يقتلونك! قال: إنما قلت إن تركوه»[٨٦].

وقال أيضاً مستهزئاً ومستخفاً بتلك المعتقدات: «وكانوا يعتقدون انه اذا كان في الدار ديك أبيض أفرق لم يدخلها الشيطان، ويقولون من أكل لحم سنور أسود لم يكن عليها لعمّار الدار سبيل، وأن من نام بين البابين تخبطه العمّار وخبّلته الجن»[٨٧].

ومن خلال هذه الروايات نرى أن الجاحظ يفصل بين البحث والتدقيق العلمي وبين الخرافة التي لا يقبلها عقل ولا منطق وشاعت بين الجمهور على انها معتقد لا يقبل التأويل ولا التبديل حتى قال: «ومما لا أكتب لك من الأخبار العجيبة التي لا يجسر عليها إلاّ كل وقّاح، أخبار لبعض العلماء، وبعض من يؤلف الكتب ويقرؤها ويدارس أهل العبر ويتحفّضها...»[٨٨].

ولم يكتف الجاحظ بنقد أصحاب الأهواء والخرافات، بل انتقد وتعرّض لبعض المفسرين الذين يتصورون تصورات غريبة لا تتماشى مع المنهج الذي يعتقد أن المفسر يجب أن يكون ذا عقل رحب واسع لا يقبل تأويل غريب فقال: «وزعم بعض المفسرين أن السنور خلق من عطسة الأسد، وأن الخنزير خلق من سلحة الفيل، لأن أصحاب التفسير يزعمون أن أهل سفينة نوح لما تأذوا بكثرة الفأر وشكوا الى نوح ذلك سأل ربه الفرج، فأمره أن يأمر الأسد فيعطس، فلما عطس خرج من منخريه زوج سنانير من ذكر وأنثى، خرج الذكر من المنخر نجوهما شكوا ذلك الى نوح، وشكا ذلك الى ربه، فأمره أن يأمر الفيل فيسلح، فسلح زوج خنازير فكفياهم مؤونة رائحة النجو، وهذا الحديث نافق عند العوام، وعند بعض القصّاص»[٨٩].

ومن هذه النصوص نعلم أنَّ عقل الجاحظ لم يقبل الأوهام، ويهزأ بأصحابها، لذلك فهو يعتمد على التجربة والعيان وفي ضوء نتائجها يبني أحكامه ويشك. ويدعو الى الشك حتى تثبت النظرية، ومن ثم الوصول الى الحقيقة وذلك بطرق شتى، كأن يستعين بحواسه، فنراه يستعين باللمس أو بالذوق أو بالرؤية أو بالشم أو بسؤال أهل العلم والمعرفة متوثقاً في كلّ خبر يسمعه، متثبتاً في كلّ كلام يصل اليه، حتى يكون على هدى من أمره، وحتى يعرض الحقيقة في أوضح معارضها فلا يخامره شك فيها.

ونتيجة لكل ما ذكرنا نخرج بخلاصة أن الجاحظ كان يستعين بآلة العقل الذي أحكم استعماله. وفي تجربته وعيانه وسماعه ونقده وشكه وتعليله كأنّ الجاحظ يطلع علينا في صورة العالم الذي يعمل عقله في سبيل البحث عن الحقيقة. وقد حدد لنا الجاحظ طريقته العلمية في البحث وذلك في مقدمة كتابه الحيوان فقال: «وهذا كتاب تستوي فيه رغبة الأمم وتتشابه فيه العرب والعجم لأنه وان كان عربياً أعرابياً وإسلامياً جماعياً، فقد أخذ مكن طرف الفلسفة وجمع معرفة السماع وعلم التجربة وأشرك بين علم الكتاب والسنة وبين وجدان الحاسة وإحساس الغريزة»[٩٠].

ومن هنا نعلم أنّ سلطان العقل هو أساس البحث العلمي عند الجاحظ فنراه يقول: «أكثرهم سماعاً أكثرهم خواطر، وأكثرهم خواطر أكثرهم تفكراً، وأكثرهم تفكراً أكثرهم علماً، وأكثرهم علماً أرجحهم عقلاً، كما أكثر البصراء رؤيةً للأعاجيب أكثرهم تجارب»[٩١]. ويقول أيضاً: «لعمري إنَّ العيون لتخطيء، لا تذهب الى ما تريك العين، واذهب الى ما يريك العقل، وللأمور حكمان، حكم ظاهر للحواس وحكم باطن للعقل، والعقل هو الحجة». وكذلك قوله: «إنَّ الحواس لتكذب وما الحكم القاطع إلاّ للذهن، وما الإستبانة الصحيحة إلاّ للعقل إذ كان زماماً على الأعضاء، وعياراً على الحواس»[٩٢].

ومن كل هذه الأمثلة والأقوال الكثيرة له في مدار استخدام العقل في كل مشاهداته الصغيرة والكبيرة في الحياة، نفهم أن الجاحظ مخلص للحق، محب للمعرفة، شغوف بالصدق والإنصاف[٩٣]. ويؤيد هذا الكلام ما ذكره في مقدمة كتابة الحيوان حيث قال: «جنّبك الله الشبهة وعصمك من الحيرة، وجعل بينك وبين المعرفة نسباً، وبين الصدق سبباً، وحبّب اليك التثبت، وزيّن في عينيك الإنصاف، وأذاقك حلاوة التقوى، وأشعر قلبك عز الحق»[٩٤].

وأخيراً نستطيع أن نقول ان الجاحظ يذهب في العلم وفي الدين وفي كل شيء مذهب العقل وصدق الحدس لا يحكم غيرهما، وقد ظلّت آراءه في البحث العلمي منهاجاً علمياً للباحثين المسلمين والعرب بعد عصره. وكان يدعو الى التخصّص والثقافة العامة، ولا يغتفر الخطأ من عالم، وان على الرجل ألا يتطاول الى ما لا يعلم.

وقد كتب الجاحظ كل تلك المدلولات والملاحظات والاستنتاجات بعد درس طويل وخبرة واسعة ومعاناة في ميدان الحياة الكبير وذلك من خلال تجربته وعيانه وسماعه

ونقده وشكّه وتعليله، فقد كان يطلع علينا في صورة العالم الذي يعمل عقله في البحث عن الحقيقة، يعمل ويتمسك بكل تلك المعايير والمقاييس لأنه المعلم الأول للعقل العربي، يعلّم الناس أن لا يؤمنوا بشيء إلا إذا صحّ في نظام العقل، ويريدهم أن تدقّ ملاحظاتهم ويرهف حسّهم، يعلّم حرية النظر والبحث ولسان حاله يقول: «إنَّ الدين لا يصلح بغير الدنيا وان الشريعة جاءت لإصلاح الأولى والأخرى»[٩٥].

الخاتمة

لقد كان علماء البصرة من أكثر علماء العراق اهتماماً بالجانب العقلي والفلسفي، فالبصرة أحد أهم معاقل الخلافة العباسية، كانت أرضاً خصبة لنشوء تلك الفرق الكثيرة من معتزلة وكلامية وحديثية وغيرها، اهتمت اهتماماً بالغاً في الجدل والخصومات نتيجة لاطلاّع علمائها على ثقافات أجنبية مختلفة كاليونانية والهندية والفارسية عن طريق كتبهم المترجمة، وتمخّض عن ذلك الاختلاط أن تأثر المجتمع البصري بهم فأدى الى نشوء مذاهب كلامية وفلسفية متنوعة كان الجاحظ أحد هؤلاء وأسس فرقة تسمى الجاحظية، فضلاً عن تأثرهم بسبب وجود كتب المعارف الطبيعية والفلسفية، والتي ساهمت بتشكيل العقلية البصرية، وكان الجاحظ أحد ابرز هؤلاء الفلاسفة الذي اتجهت طريقته بالدراسة على اتجاهين أساسيين:

الاتجاه الأول: نستطيع أن نسميه بالفلسفة النقدية وهو ينصبّ على موضوع المعرفة لاكتشاف أسسها وماهيتها وطرقها وللوصول الى اليقين والحقيقة. والاتجاه الثاني: المدعو بفلسفة القيم التي تشمل الدراسات ذات الأحكام القيمية في الأخلاق والجماليات. لقد عالج الجاحظ موضوع المعرفة معالجة جادة مستوفية اذ تطرق الى طبيعتها ووسائلها وطرقها ومعنى اليقين والشك والظن وحدود العلم البشري. وفي مجال الأخلاق حاول أن يدرك الأسس التي تقوم عليها الأخلاق بملاحظة دقيقة لسلوك الناس وتحليل عميق لنفسياتهم أما الطابع العقلي فهو واضح القسمات في كتابات الجاحظ. فقد كان معتزلياً بحكم العقل في ما يبحث، ويخضع الأشياء والأمور للنقد، ويجعل الشك طريقاً الى اليقين، ولا يشفي غليله إلاّ لحقيقة. فقد كان الشك والنقد أهم ما في منهج الجاحظ في البحث العلمي، والذي تضمّن الإقبال على البحث بروح علمية محايدة. والعمل بمبدأ الشك في الموضوع حتى تثبت

صحته. ثم في نهاية المطاف يكون اللجوء الى التجربة للتحقق من صحة نظرية من النظريات، أو رأي من الآراء وهذا قائم على الملاحظة والاستقراء والموازنة.

وبناء على هذا فان المناحي الفلسفية عند الجاحظ هي تلك الاتجاهات الفكرية التي تنطلق من ميدان الفلسفة لا من ميدان الأدب. ذلك أنَّ الجاحظ لم يكن أديباً فقط، وإنما كان مفكراً أيضاً تعمّق بنظرة الى ما بعد آفاق الأدب، فأطلّ على ميادين الفلسفة المختلفة من طبيعيات وإلهيات وجماليات وأخلاقيات واجتماعيات. وراح يراقب ما يجري في ساحتها من نتائج، وما يحتدم عندها من جدل، ودفعه فضوله الى إبداء آرائه حول مسائل الفلسفة الأساسية. ولكنه نثر تلك الآراء في تضاعيف كتبه، ولم يقدم على جمعها في صيغة المذهب الفلسفي المنتظم على نحو ما نعهد عند كبار الفلاسفة.

هوامش البحث

(١) ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد (ت:٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٥م: ٣١٧/٧.

(٢) ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (ت:٦٨١هـ)، وفيات الأعيان، تحقيق: احسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٨م: ٤٣/٣.

(٣) السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت:٥٦٢هـ)، الأنساب، حيدر آباد الدكن، ١٩٦٣م: ١٢٦/٣.

(٤) البلخي، أبو القاسم، عبد الله بن أحمد (ت:٣١٩هـ)، طبقات المعتزلة، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٤م، ص٧٣؛ اليافعي، عبد الله بن أسعد (ت:٧٦٨هـ)، مرآة الجنان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، بلا ت: ١٦٦/٢.

(٥) الكتبي، محمد بن شاكر (ت:٧٦٤هـ)، عيون التواريخ، دار الرشيد، بغداد: ٦٣/١٠.

(٦) أبرز أصحاب هذه الآراء هم: طه الحاجري. الجاحظ حياته وآثاره، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م: ص٨٩، ومحمد عويس المجتمع العباسي، مطبعة بغداد، ١٩٧٧م: ص١١، وعمر فروخ: تاريخ الفكر العربي، المكتب التجاري، بيروت: ص٢١٥.

(٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٤٤/٣.

(٨) المرتضى، علي بن طاهر (ت:٤٣٦هـ)، المنية والأمل، اعتنى به: توما آرتلو، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، بلا.ت: ص٣٨.

(٩) ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبد الله (ت:٦٢٦هـ)، معجم الأدباء، اعتنى به: مرجليوث، مطبعة هندية بالموسكي، مصر، ١٩٢٤م: ١١٣/١٦.

(١٠) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت:٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة: ٤١/١.

(١١) سبط بن الجوزي، يوسف بن قزاغلي (ت:٦٥٤هـ)، مرآة الزمان، دار الكتب، القاهرة: ١٠٩/٤.

(١٢) المسعودي، علي بن الحسين (ت:٣٤٦هـ)، مروج الذهب، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٨م: ١٣٥/٤.

(١٣) ابن حجر، أحمد بن علي (ت:٨٥٢هـ)، لسان الميزان، حيدر آباد، الدكن: ٣٥٧/٤.

(١٤) الخطيب البغدادي، أحمد بن ثابت (ت:٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، مكتبة الخانجي، القاهرة: ٢٢٠/١٢؛ تاريخ دمشق: ٣/٩، معجم الأدباء: ٥٦/١٦، وفيات الأعيان: ٤٤/٣.

(١٥) عيون التواريخ: ٥٣/١٠.

(١٦) المسعودي، علي بن الحسين (ت:٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٨م: ٣٥/٤.

(١٧) الخطيب البغدادي: ٢١٤/١٢.

(١٨) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (ت:٧٣٢هـ)، المختصر، دار الكتاب، بيروت، ١٩٥٦م: ٤٨/٢؛ ابن الوردي، زين الدين عمر (ت:٧٤٩هـ)، التاريخ، المطبعة الحيدرية، النجف: ٣٢١/١.

(١٩) البلاذري، أحمد بن يحيى (ت:٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، مكتبة صيدا، بيروت: ص٣١٩.

(٢٠) الحاجري، الجاحظ حياته وآثاره: ص٢٣.

(٢١) اليعقوبي، أحمد بن جعفر بن واضح (ت:٢٩٢هـ)، البلدان، بيروت، ١٩٧٤م: ص٣٢٣.

(٢٢) البلاذري، فتوح البلدان: ص٣١٩.

(٢٣) ابن المرتضى، علي بن طاهر (ت:٤٣٦هـ)، الأمالي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٤م: ١٩٥/١.

(٢٤) ينظر: الزجاجي، عبد الرحمن بن اسحاق (ت:٣٣٩هـ)، مجالس الزجاجي، دار الكتاب العربي، بيروت، بلا ت: ٢٢/١؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ١٦٨/٧.

(٢٥) المسعودي، مروج الذهب: ٥٥/٤.

(٢٦) ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ٢١٩/٧.

(٢٧) الإملاء: إسلوب من أساليب التعليم عند العلماء، فمن أراده وتوفرت فيه شروطه عقدت له المجالس، فيملي الشيخ من حفظه ويجب أن يكون حافظاً له، أو يملي من مصنفات غيره لكن يجب أن يكون قد تملّك حق روايتها بالسماع أو الإجازة.

(٢٨) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت:٩٠٢هـ)، الجواهر والدرر، مطبعة السعادة، القاهرة، بلا ت: ص٢١٢.

(٢٩) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١٥/٢.

(٣٠) التوحيدي، أبو حيان، علي بن محمد (ت:٣٢٥هـ)، الإمتاع والمؤانسة، دار صادر، بيروت: ٢١/١.

(٣١) ابن عبد ربة، أحمد بن محمد (ت:٣٢٨هـ)، العقد الفريد، تحقيق: إبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٤٩م: ٤٨٦/٢.

(٣٢) ياقوت الحموي، شهاب الدين (ت:٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت: ٤٨٤/٤.

(٣٣) التوحيدي، أبو حيان، علي بن محمد (ت٣٢٥هـ)، البصائر والذخائر، دار صادر، بيروت: ٢٩/١.

(٣٤) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت:٢٥٥هـ)، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، بيروت، ١٩٣٨م: ١٥٥/١.

(٣٥) المصدر نفسه: ٤٩/٢.

(٣٦) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت:٣٥٦هـ)، الأغاني، دار الكتب المصرية، القاهرة، بلا ت: ٩٦/٥.

(٣٧) الأصفهاني، الأغاني: ١٦٠/٥.

(٣٨) الزجاجي، مجالس العلماء: ص٢٣٤.

(٣٩) الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر الليثي (ت:٢٥٥هـ)، المحاسن والأضداد، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٦م: ١٠٠/٢.

(٤٠) الجاحظ، الحيوان: ٢٢٨/٢؛ الأصفهاني، الأغاني: ٣٧/٢٠.

(٤١) ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أحمد بن القاسم (ت:٦٦٨هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: محمد عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م: ٣٣/٣.

(٤٢) ابن النديم، محمد بن اسحاق (٣٨٥هـ)، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٧م: ص٣٤١.

(٤٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ٨٧/١٦.

(٤٤) المصدر نفسه: ٩٩/١٦.

(٤٥) الأصفهاني، الأغاني: ٢٤١/٣.

(٤٦) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت:٢٧٦هـ)، أدب الكاتب، تحقيق: محمد محي الدين، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٦٣م: ٩/١.

(٤٧) المصدر نفسه: ١٠/١.

(٤٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٨٤/٤.

(٤٩) الحاجري، طه، الجاحظ حياته وآثاره، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م: ص١٥١.

(٥٠) المصدر نفسه: ص١٥١.

(٥١) معجم الأدباء: ٧٤/١٦؛ عيون التواريخ: ٥٢/١٠.

(٥٢) الجاحظ: الحيوان: ٤٣/١.

(٥٣) الجاحظ، البيان والتبيين: ٢٠٤/١؛ الحيوان: ٦٩/١.

(٥٤) الجاحظ، الحيوان: ٦٥/١.

(٥٥) كرد علي، محمد، أمراء البيان، دار الامان، بيروت، ١٩٦٩م: ٤٧/٢.

(٥٦) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت:٧٣٣هـ)، نهاية الإرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م: ٢٩٥/١.

(٥٧) الطبري، محمد بن جرير (ت:٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧٦م: ٥٧٧/٨.

(٥٨) المصدر نفسه: ١٧٢/٥.

(٥٩) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت:٢٥٥هـ)، البخلاء، تحقيق: طه الحاجري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨م: ص٣٨.

(٦٠) ابن عساكر، علي بن الحسن (ت:٥٧١هـ)، تاريخ دمشق، تحقيق: عمر العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ: ٥١٣/١٠.

(٦١) الأصفهاني، الأغاني: ٢٢٠/٥.

(٦٢) الحاجري، الجاحظ حياته وآثاره: ص١٤١.

(٦٣) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ص١٦٣.

(٦٤) الجاحظ، الحيوان: ٢٦/١.

(٦٥) المصدر نفسه: ٣٣/١.

(٦٦) ينظر: البيان والتبيين: ٢٠٤/١.

(٦٧) للمزيد من المعلومات عن المفردات الفارسية في كتب الجاحظ. ينظر: البيان والتبيين: ٧٩/١، والحيوان: ٦٩/١ على سبيل المثال لا الحصر.

(٦٨) المنية والأمل: ص٢٦.

(٦٩) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٤٧١/٣.

(٧٠) جبري، شفيق، الجاحظ معلم العقل والأدب، دار البشائر، دمشق، ط٢، ٢٠٠١م: ص١٣، ص ٦٦؛ الحاجري، الجاحظ حياته وآثاره: ص١٦٣.

(٧١) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت:٢٥٥هـ)، رسائل الجاحظ، تحقيق: محمد عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩م، رسالة تحرير القول في (الكلام) و(الاعتزال): ص١٢٨.

(٧٢) ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان: ٩٤/٣.

(٧٣) وهي مسألة مرتكب الكبيرة، فقد قال واصل ان الفاسق لا مؤمن ولا كافر، وانضم اليه عمرو بن عبيد الذي كان شغوفاً بالمسائل الفلسفية، فطرده الحسن البصري عن مجلسه وقال له: اعتزل عنا أو اعتزلنا. ينظر: أمالي المرتضى: ١٦٣/١؛ لسان الميزان: ٩٤/٣.

(٧٤) البغدادي، عبد القاهر بن طاهر (ت:٤٢٩هـ)، الفرق بين الفرق، تحقيق: زاهر الكوثري، مكتبة عز العطار، القاهرة: ١١٧/١؛ وانظر كذلك: اليافعي، مرآة الجنان: ٢٧٤/١.

(٧٥) المرتضى، المنية والأمل: ص٢٨.

(٧٦) المسعودي، مروج الذهب: ٢١٣/٤.

(٧٧) الحاجري، الجاحظ حياته وآثاره: ص١٧٠.

(٧٨) الجاحظ، الحيوان: ٦١/٥.

(٧٩) الحاجري، الجاحظ حياته وآثاره: ص١٧١.

(٨٠) الملاح، هاشم، الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م: ص١٣٩.

(٨١) معجم الأدباء: ٧٦/١٦.

(٨٢) الجاحظ، الحيوان: ٢٠٦/٤.

(٨٣) المصدر نفسه: ٣٦/٦.

(٨٤) الحاجري، الجاحظ حياته وآثاره: ص١٧٥.

(٨٥) الجاحظ، الحيوان: ٣٤/٦.

(٨٦) المصدر نفسه: ٣٥/٦.

(٨٧) المصدر نفسه: ٨٨/٤.

(٨٨) الجاحظ، الحيوان: ١٧٧/٦.

(٨٩) المصدر نفسه: ٧٥/٢.

(٩٠) المصدر نفسه: ١٠٦/٦.

(٩١) الجاحظ، الحيوان: ١٠٦/٥.

(٩٢) المصدر نفسه: ٣/١.

(٩٣) محمد كرد علي، أمراء البيان: ص٣٥٥.

(٩٤) الحيوان: ١٢٥/١.

(٩٥) موسى، منيف، الجاحظ في حياته وفكره وأدبه، دار المشرق العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٢م: ص١٣٣.

(٩٦) الحيوان: ١/١.

(٩٧) محمد كرد علي، أمراء البيان: ص٤٠٠.

المصادر

١.أدب الكاتب، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت:٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد محي الدين، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٦٣م.

٢.الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان علي بن محمد التوحيدي (ت:٣٢٥هـ)، دار صادر، بيروت.

٣.الأمالي، علي بن طاهر ابن المرتضى (ت:٤٣٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٤م.

٤.الأغاني، أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت:٣٥٦هـ)، دار الكتب، القاهرة، بلا.ت.

٥.الأنساب، عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت:٥٦٢هـ)، الهند، حيدر أباد، الدكن، ١٩٦٣م.
٦.البخلاء، عمرو بن بحر الجاحظ (ت:٢٥٥هـ)، تحقيق: طه الحاجري، دارالمعارف، القاهرة، ١٩٥٨م.
٧.البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ (ت:٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، بلا.ت.
٨.البلدان، أحمد بن جعفر بن واضح (ت:٢٩٢هـ)، بيروت، ١٩٧٤م.
٩.التاريخ، زين الدين عمر ابن الوردي (ت:٧٤٩هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف.
١٠.تاريخ بغداد، أحمد بن ثابت بن علي (ت:٤٦٣هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، بلا.ت.
١١.تاريخ دمشق، علي بن الحسن ابن عساكر (ت:٥٧١هـ)، تحقيق: عمر العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.
١٢.تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧٦م.
١٣.الحيوان، عمرو بن بحر الجاحظ (ت:٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، بيروت، ١٩٣٨م.
١٤.رسائل الجاحظ، (رسالة تحرير القول في الكلام والاعتزال)، عمرو ببن بحر الجاحظ، (ت:٢٥٥هـ)، تحقيق: محمد عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩م.
١٥.طبقات المعتزلة، عبد الله بن أحمد البلخي (ت:٣١٩هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٤م.
١٦.العقد الفريد، أحمد بن محمد الأندلسي (ت:٣٢٨هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٤٩م.
١٧.عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم ابن أبي أصيبعة (ت:٦٦٨هـ)، تحقيق: محمد عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

١٨.عيون التواريخ، محمد بن شاكر الكتبي (ت:٧٦٤هـ)، تحقيق، نبيلة عبد المنعم داود، دار الرشيد، بغداد، بلا.ت.
١٩.الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت:٤٢٩هـ)، تحقيق: زاهر الكوثري، مكتبة عز العطار، القاهرة، بلا.ت.
٢٠.الفهرست، محمد بن اسحاق ابن النديم (ت:٣٨٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٧م.
٢١.فتوح البلدان، أحمد بن يحيى البلاذري (ت:٢٧٩هـ)، مكتبة صيدا، بيروت، بلا.ت.
٢٢.الكامل في التاريخ، عز الدين علي بن محمد (ت:٦٣٠هـ)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م.
٢٣.لسان الميزان، أحمد بن علي العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)، حيدر آباد، الدكن. بلا.ت.
٢٤.مجالس الزجاجي، عبد الرحمن بن اسحاق (ت:٣٣٩هـ)، دار صادر، بيروت.
٢٥.المحاسن والأضداد، عمرو بن بحر الجاحظ (ت:٢٥٥هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٦م.
٢٦.المختصر في أخبار البشر، عماد الدين إسماعيل أبي الفداء (ت:٧٣٢هـ)، دار الكتاب، بيروت، ١٩٥٦م.
٢٧.المنية والأمل، علي بن طاهر ابن المرتضى (ت:٤٣٦هـ)، اعتنى به: توما آرتلو، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، بلا.ت.
٢٨.مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين (ت:٣٤٦هـ)، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٨م.
٢٩.مرآة الزمان، يوسف بن قزاغلي (ت:٦٥٤هـ)، مرآة الزمان، دار الكتب، القاهرة.
٣٠.معجم الأدباء، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي (ت:٦٢٦هـ)، اعتنى به: مرجليوث، مطبعة هندية بالموسكي، مصر، ١٩٢٤م.
٣١.معجم البلدان، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي (ت:٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، بلا.ت.

٣٢.نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت:٧٣٣هـ)، المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م.
٣٣.وفيات الأعيان، شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان (ت:٦٨١هـ)، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨م.

المراجع:

٣٤.جبري، شفيق، الجاحظ معلم العقل والأدب، دار البشائر، دمشق، ط٢، ٢٠٠١م.
٣٥.الحاجري، طه، الجاحظ حياته وآثاره، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م.
٣٦.عويس، محمد، المجتمع العباسي، مطبعة بغداد، بغداد، ١٩٧٧م.
٣٧.فروخ، عمر، تاريخ الفكر العربي، المكتب التجاري، بيروت، ١٩٧٤م.
٣٨.كرد علي، محمد، أمراء البيان، دار الأمان، بيروت، ١٩٦٩م.
٣٩.الملاح، هاشم، الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م.
٤٠.موسى، منيف، الجاحظ في حياته وفكره وأدبه، دار المشرق العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.